رفاعي سرور.. المعادل الطبيعي لسيد قطب

حين يسألك أحدهم، من هو شيخ كل المجموعات الجهادية الجديدة في مصر، فأجب ببساطة ودون تفكير، رفاعي سرور.

وحين يسألك أحدهم من هو شيخ السلفية القاهرية، وفق تصنيف السلفيات جغرافيًا، فأجب بسرعة رفاعي سرور.

وحين تريد أن تعرف من هو الامتداد الطبيعي والحقيقي لسيد قطب، فسأجيبك أنا وأقول لك إنه أيضًا رفاعي سرور.

رفاعي سرور، هو شيخ الجبهة السلفية، التي يقودها خالد سعيد، ومؤسسها الحقيقي.

قال عنه الكاتب الصحفي موسى صبري "انتبهوا رفاعي سرور خارج السجون"، في مقدمة كتابه "السادات بين الحقيقة والأسطورة" حينما علم أن مفكر تنظيم الجهاد طليقًا خارج السجن.

أصل رفاعي سرور لتكفير الحاكم، وجهر بذلك في خطابه

الدعوي، كما اعتقد أن مظاهر المجتمعات الإسلامية كلها من أمر الجاهلية، فضلًا عن حرمة المشاركة في المجالس النيابية والبرلمانية لأنها تتحاكم إلى غير شرع الله.

وصف رفاعي سرور سلفية الإسكندرية (برهامي)، والسلفية الإصلاحية، بمرجئة العصر، لأنهم يحصرون مفهوم الكفر في دائرة تكذيب الدين.

سيد قطب المكون الأول لفكر رفاعي سرور، وكان هو الامتداد الصحيح له، وكان آخر ما كتبه، المواجهة الأخيرة ستكون بين حازم أبو إسماعيل والجيش، على أساس أن حازم هو الدعوة المباشرة للمشروع الإسلامي، وكان آخر ما كتبه قبل أن يموت لا بد أن نبايع لا على الجهاد بل على الموت.

ولد (رفاعي سرور جمعة) في الإسكندرية عام ١٩٤٧م، وهو في السابعة من عمره، تم القبض على أحد أعضاء الإخوان عام ١٩٥٤م، فسأل أمه "لماذا أخذوا عم "عبده""؛ فقالت له لأنه كان على خلق، وكان يحب الأطفال، فسأل جاره عبد الرحمن عبد الصمد ـ نفس السؤال، فقال له: لقد أخذوه يا بني، لأنه يريد أن يُحكم بالقرآن، ومنذ هذه الواقعة بدأ يتردد على مساجد أنصار السنة، وكانت هى الجمعية التي تمثل بديلًا طبيعيًا لجماعة الإخوان التي كانت موجودة في سجون ناصر في هذه الآونة، والتزم كل قيادات الجماعات الجهادية في مساجد أنصار السنة، بما فيهم أيمن الظواهري.

بعد سنوات بدأ رفاعي سرور ينتقد جماعة أنصار السنة، ومنها اهتمامها بقضية الأضرحة والقبور، وتكفير الاستعانة بالأولياء، وتحريم زيارة الأضرحة، ومحاربة الصوفية، دون اهتمامها بتكفير الحكام (للعلم لأنصار السنة كتابًا كبيرًا في تكفير الحكام).

يقول رفاعي سرور: كانت جماعة أنصار السنة متناقضة، اختزلت كل القضايا الشرعية في قضية شرك الأضرحة والقبور، فترسل التأييد لجمال عبد الناصر حين يعتقل الإخوان بينما تعترض عليه حين يزور "ضريح الحسين" فتكتب في صدر مجلتها "لا يا سيادة الرئيس".

بدأ رفاعي يدعو الجماعة للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ويدعوها لإقامة الحدود، وأثارت أسئلته إحراجًا لقيادات الجماعة، الذين فصلوه في النهاية، لكنه كان قد نجح في تكوين خلية، داخل مساجد أنصار السنة، وكان عمره ساعتها ١٨ عامًا.

القيادي الإخواني عبد الرحمن عبد الصمد، جار رفاعي سرور، دعاه أيضًا لجماعة الإخوان، وهو من أعطاه كتاب "معالم في الطريق" لسيد قطب، وكانت البداية التي جعلته يلتفت إلى فكر قطب، ويقرأه بالكامل.

تأثر رفاعي سرور بإعدام شيخه سيد قطب، فكتب كتيبه الصغير أصحاب الأخدود، الذي حقق مبيعات عالية، وآخرها معرض القاهرة للكتاب عام ٢٠١٥.

يقول رفاعي: "عندما بلغني خبر إعدام الشيخ سيد قطب أغلقت على غرفتي وبكيت، وفي المساء سمعت جدتي بكائي فسألت والدتي عن السبب فأخبرتها أن أحد أصدقائي مات فعلقت بكلمة صغيرة لكنها أثرت في بشدة قالت جدتي "وهل سيعيد البكاء من مات؟" فقمت أبحث عن شيء افعله ووجدت أمامي القلم فكتبت "أصحاب الأخدود".

في هذه الآونة كانت أول مجموعة جهادية مسلحة قد تم تشكيلها بقيادة وكيل النيابة يحيى هاشم، الذي قرأ كتاب سرور، وذهب للناشر ليعرف عنوان المؤلف، حتى وصل له، لكي يدعوه للانضمام إلى مجموعته التي كان من أعضائها علوي مصطفى، وإسماعيل طنطاوي، ونبيل البرعى، وكلهم كانوا يؤمنون بحرب العصابات، وأنها الوسيلة الأنجح لإسقاط النظام.

خرج يحي هاشم في مظاهرات ضد عبد الناصر، بعد هزيمة ٦٧، فقبض عليه، ثم أفرج عنه لما علموا أنه معاون بالنيابة، وانفجرت خلافات حول أنه عرض التنظيم للخطر، وفى النهاية انشق ومعه رفاعي سرور، وكونوا تنظيمًا مستقلًا.

انضم رفاعي سرور بعد يحي هاشم إلى تنظيم الفنية العسكرية الذي أسسه صالح سرية، وقد انكشفت علاقة الشيخ رفاعي بهذه المجموعة مصادفة، إذ كان أحد المتهمين قد أرسل رسالة خطية إلى زوجته يطلب فيها أن تبلغ سلامه إلى (ي، ر، م) فتم ضبط الرسالة

وبالضغط على الزوجة أفادت بأن "ي" هو يحيى هاشم، وأن "ر" هو رفاعي سرور وأن "م" هو محمد حجازي. انكشف بذلك التنظيم بالرغم من سريته الشديدة حتى إن مذكرة الدفاع التي قدمها المحامى في القضية كان قد شارك في إعدادها يحيى هاشم رئيس النيابة قبل أن يكتشف كونه أحد المتهمين بالقضية.

حاصرت قوات الأمن أغلب أعضاء التنظيم في منطقة جبلية بأسيوط عام ١٩٧٥ وجرى اشتباك عنيف بالأسلحة النارية قتل خلاله يحي هاشم في حين تمكن رفاعي سرور من الهرب إلى القاهرة وتحديدًا في حي (بين السرايات) ثم إلى (المطرية).

لما ظهر شكري مصطفى زعيم (التكفير والهجرة)عمل رفاعي سرور المستحيل أن يضم جماعته إليه، ويصبحا جماعة واحدة، إلا أنه فشل، يقول: أدركت نتيجة أنه لما تكون مع جماعة يشعر الفرد فيها أن هذا هو الحق، وهكذا مع الجماعة الأخرى، فاتضح أن السبب غياب مفهوم الحكمة، لأنه واضح الاتجاه النظري عندنا، وليس عمل مبني علي واقع مدروس، أما الحكمة تضع حق التطبيق في الواقع من الناحية العملية، وهنا فهمنا أن الإثبات النظري للاتجاه لا يكفي أن يكون أساس للتطبيق، ولكن الحكمة حاسب الصواب الكاملة في ضمير الداعية التي تحدد له سبيل الوصول للغاية، وهنا عملت كتاب في هذا الموضوع لمعالجة هذا الخلل وهو كتاب "حكمة الدعوة".

انضم فيما بعد سرور إلى تنظيم الجهاد، وكان من المفترض أن يكون

هو قائد التنظيم بالكامل، لكنه اعتذر، واكتفى أن يكون كمرشد ديني، وأستاذ لقيادات التنظيم ومنهم عبود الزمر، الذي ربطتهما علاقة كبيرة معًا.

بعد الإفراج عنه من قضية الجهاد(رقم؛ ٤٦٢، لسنة ١٩٨١م، حصر أمن دولة عليا)، عكف سرور على تأليف بعض الكتب، ومنها: (التصور السياسي للحركة الإسلامية – عندما ترعى الذئاب الغنم – علامات الساعة)، إلا أنه في أواخر حياته، قد اهتم بتأليف الكتب التي تواجه الليبرالية والعلمانية، والدين المسيحي، ومنها كتبه (مفهوم الرمزية بين الإسلام والنصرانية، و"الأقانيم دراسة منهجية"، "حماية الدين من التحريف"، و"المسيح وحقائق الحكمة".

كان يرى سرور أن السلفية هى الحل ويقول: "الفهم السلفي للصراع القائم على الأساس الديني، والذي تتحدد ملامحه بقوة في الواقع القائم الآن، تنشأ ضرورة التمسك بالتصور السلفي كمضمون منهجي للأمة المسلمة، التي تمثل الطرف الأساسي المقابل لكل أطراف هذا الصراع، وخصوصًا عندما يحرص الأعداء على تحويل المسلمين عن سلفيتهم التي تمثل أصل دينهم".

رفاعي سرور لم يدخل أى كلية، ووصل في تعليمه إلى المرحلة الثانوية فقط، لكنه تزوج خريجة كلية، أرشدها كما تقول إلى زوجة (يحيى هاشم) فضيفتها في منزلها، وقرأت معها كتب لـ(سيد قطب، ومحمد قطب، والولاء والبراء) فكانت نقلة بالنسبة له،

فتحجبت ووافقت على الزواج منه.

أنجب سرور منها ٦ أبناء أكبرهم "يحيى رفاعي" وهو كأبيه جل اهتمامه يدور حول الرد على العلمانيين وأصحاب الفكر الليبرالي، والمهندس "عمر"، وكان أحد أعضاء جماعة بيت المقدس بسيناء، وهو الآن مفتى تنظيم القاعدة، وهارب بمدينة درنة بليبيا، وابنته ولاء رفاعي التي من مؤلفاتها كتاب "زوجة المعتقل".

عقب قيام ثورة ٢٥ يناير، أقام الجهاديون مجموعة من الخيم في ميدان التحرير، وكانت هناك خيمة مخصصة لرفاعي سرور يتلقى فيها البيعات، ومعه ابنه عمر، المفتى الشرعي لتنظيم القاعدة بليبيا، ورفيق هشام عشماوى بدرنة، ولما رشح حازم نفسه في الانتخابات الرئاسية، دعا رفاعي لانتخابه، وقال واقع الحالة الثورية الآن هو الشيخ حازم ، لأنه وصل لمرحلة الرمزية، أي أصبح الرمز للقضية الثورية الإسلامية، ولأنه وفق قوله، تبنى القضية بأبعادها الكاملة وعبر عنها بأكمل صياغة سياسية، وكان جريئًا، وجهر وواجه ونجح.

في يوم ٢١ فبراير ٢٠١٢، وهو ذاهب إلى صلاة العصر، توفى سرور فجأة، واجتمع في جنازته كل قيادات الجماعات الجهادية، وكانت فرصة لالتقاء قادة السلفية الجهادية، وتم نشر هذه الجنازة على اليوتيوب، وألقى ساعتها حازم أبو إسماعيل كلمة على قبره، وكانت مؤشرًا واضحًا على النقلة التي وصلت إليها السلفية القاهرية في مصر.

اعتنقت الجبهة السلفية أفكار رفاعي سرور، واعتبرت نفسها

امتدادًا له، بينما كانت كل المجموعات المسلحة، التي تم القبض عليها في الوراق والجيزة، وضواحي القاهرة، هى نتاج حقيقي لأفكار الرجل، وهذا ما اتضح في تحقيقاتها، التي اطلعنا عليها فيما بعد.

obeikandl.com